تحقيق النصوص الشعرية

د.علي الطويل

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – قسم المخطوطات

التحقيق في اللغة : من حق الأمر يحق حقاً وحقوقاً.. وحقَّقْتُ الأمر وأحققته كنت على يقين منه . [لسان العرب مادة حق ١١/٣٣٣]

ويقال : أحققت الأمر إحقاقاً إذا (أحكمته وصححته) . فالتحقيق إذاً هو الإثبات والإحكام والتصحيح .

التحقيق في الاصطلاح: هو بذل العناية بالمخطوطات لتكون أقرب إلى الصورة التي كتبها مؤلفها دقة وسلامة من دون تدخل منا داخل النص؛ مما يجعل الإفادة منها كبيرة .

لست هنا في معرض سرد عملية التحقيق برمته، فلكل علم له طريقته وأسلوبه في عملية التحقيق، وإنما اقتصرت هنا على إيضاح تحقيق النصوص الشعرية بشكل مقتضب غير مخل .

النص: إما أن يكون نصاً قرآنياً، أو شعرياً، أو حديثا نبوياً، أو قولاً، أو رأياً، أو خطبة أو وصية، أو مثلاً سائراً. وعليه فإن النص :

- قد يكون ما نقله المؤلف ونص على نسبته .
- وقد يكون ما نقله المؤلف ولم ينص على نسبته، وإنما بدأه بقوله: "قيل" ، أو : "يرى بعضهم"
- وقد يأتي النص أيضاً في سياق الكلام ولم يشر المؤلف إلى نقله .

هنا لابد للمحقق من تخريج هذه النصوص.

تخريج النصوص :

التخريج : هو توثيق النص بإرجاعه إلى مصادره التي استُقي منها، وضبطها، ونسبة ما لم يُنسب منها إلى قائله.

السبب الداعي إلى التخريج في تحقيق النصوص، هو أن القدماء كانوا لا يذكرون في الأغلب المصادر التي ينقلون عنها معلوماتهم ونصوصهم . من هنا يصبح للنصوص المنقولة ضرورة منهجية يفرضها واجب استكمال البحث.

تخريج النصوص المنسوبة:

- ينبغي على المحقق أن يعود إلى الكتب الأصلية التي احتوت على هذه الأقوال . فإن نص المؤلف على اسم الكتاب الذي نقل عنه فقد سهل الأمر، وإن لم ينص على اسم الكتاب اجتهد في الوصول إلى الكتاب الذي صدر منه هذا القول، فإن كان مخطوطاً وكان في مقدوره تحصيل هذا المخطوط خرجه، وإلا فإن تكليفه بالبحث عن هذا المخطوط في مكتبات العالم أمر عسير .

تخريج النصوص غير المنسوبة:

- ثمة نصوص يقتبسها المؤلفون من غيرهم بقولهم : "قيل" ، أو " قال بعضهم". هنا يجتهد المحقق في معرفة أصحاب هذه الأقوال ومكان ورودها .

تخريج النصوص التي توحي لقارئها أنها من المؤلف نفسه وهي لغيره:

- إن كان النص منقولاً حرفيا أشار المحقق إلى مظانه، وإن كان بالمعنى أشار إليه في الحاشية :" ينظر كتاب كذا ، صفحة كذا "

تخريج النصوص الشعرية:

إن الشعر قد روي وسيظل يروى باختلاف كبير بين كتاب وآخر، وذلك لاختلاف الرواة وتعددهم، فإذا ورد الشعر في نص من النصوص، وثبت للمحقق أن هذه هي الرواية التي أرادها مؤلف النص أو الشاعر أو جامع الشعر وراويه، ثبَّتها. وإذا لاحظ في البيت عيباً من العيوب الشعرية فيتوجب عليه التنبيه إليه، ويكتبه بالهامش.

كيف نتوصل إلى تحقيق البيت الشعري؟

إذا كان البيت منسوباً إلى قائله يسهل الرجوع إلى ديوانه إذا كان مطبوعاً، وإلى المروي من شعره في المجاميع الشعرية كديوان الهذليين ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، والمفضليات للضبي، والحماستين لأبي تمام والبحتري، وإنما الصعوبة حقاً في الشواهد المرسلة مجهولة القائل، يستعان هنا على تحقيقها بتوجيه السياق في عصرها، وأوجه الاستشهاد بها، فإن كانت قضايا لغوية أو بلاغية التمستَ في شواهدها النحاة واللغويين والبلاغيين، وإن كانت في سياق أحداث تاريخية كغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها التمستَ نطاقها في كتب التاريخ. وإذا كان الشاهد موجهاً إلى مجال معين من فنون الشعر كالغزل أو الرثاء أو المدح التمستَ دواوين الشعراء الذين اشتهروا في هذا المجال. وهناك شواهد شعرية وأقوال مأثورة يمكن للمحقق أن يلتمسها في كتب تعنى بالمجامع اللغوية والأدبية، ككتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وشرح شواهد المغني للسيوطي، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، ولسان العرب لابن منظور.. وغيرها . أما الأشعار والأرجاز فيرجع فيها إلى ديوان الشاعر إن وجد الديوان وإلا فيرجع إلى كتب الأدب الكبرى والمجموعات، فكتب الأدب مثلاً معجم الأدباء لياقوت الحموي، ويتيمة الدهر للثعالبي، وخريدة القصر للأصفهاني، ودمية القصر للباخرزي، والذخيرة لابن بسام، وسلافة العصر لابن معصوم، والأمالي وذيلها للقالي.

كيف نخرج النصوص الشعرية؟

- أن يضع المحقق لكل بيت رقماً حتى لو تكرر وروده، ومن ثم يثبت النص الشعري الذي أورده المؤلف، وهذا النص قد يكون صدراً أو عجزاً أو بيتاً كاملاً، أو تكون رواية تختلف عن الرواية المشهورة في بعض كلماتها أو في ضبطها .
- يحافظ المحقق على رواية المؤلف، فإن ضبطها المؤلف حافظ على ضبطها، وإن أوردها ناقصة، أثبتها كما هي ثم أكملها في الهامش .
- إكمال البيت الناقص بالهامش، ويجتهد المحقق في معرفة قائله، ويذكر خلاف القوم في ذلك إن وجد، ويشير إلى اختلاف رواية المؤلف عن الروايات الأخرى إن كان ثمة ضرورة إلى ذلك، كأن تختلف رواية الصدر أو العجز عن ما جاء في الديوان، أو ثمة اختلاف في الرواية حسب الشاهد، وبعد ذلك يثبت بعض المصادر الأصلية التي ذكرت البيت، ويكتفي بذكر ثلاثة مصادر حسب تسلسلها التاريخي .
- شرح الغريب في البيت الشعري، وتوضيح المعنى الإجمالي للبيت، وتبيين موضع الشاهد إن كان ثمة ضرورة .

صعوبات تحقيق النصوص الشعرية والطريقة المثلى لمعالجتها

هناك صعوبات تواجه محقق النص، ويمكن مواجهتها بما يلي:

١- أن يجمع المحقق أكبر عدد مستطاع من نسخ الديوان أو الكتاب الذي يعالجه، ويقابل بعضها ببعض مقابلة دقيقة كاملة مستوعبة .

٢- أن يعمد إلى تقليب مخطوطاته وتكرار قراءتها حتى يألف خطها ويعرف الاتجاه العام فيها .

٣-أن يلجأ إلى المراجع التي يظن أن المخطوط استقى منها، أو التي يرجح أنها قد استقت منه، ويستعين في التحقيق بمقابلة هذه على تلك ومراجعة كل منها على الأخرى.

٤-أن يتأنى في فهم النص، ويغلب جانب الشك على جانب اليقين، حتى يأمن العثار فيما يقترح من تصويب وتصحيح .

٥-أن يكون للمحقق صلة تامة بدراسة أسلوب المؤلف، فيما ترك من آثار أخرى.

٦-أن يكون ذا خبرة بما يتعرض له الكلام من التصحيف والتحريف الكتابي والسمعي.

نماذج مصحفة محرفة :

١ – الوجه المصحف المحرف

أفول لصحب صحت الكأس شملهم وراعي صبابات الهدى يترنم

خذوا ما صغا من عيسنا قبل فوته فكل وإذ طال المدى يتصرم

١-الوجه الصحيح

أقول لصحبٍ ضمت الكأس شملهم وداعي صبابات الهوى يترنم

خذوا ما صفا من عيشنا قبل فوته فكلٌّ وإن طال المدى يتصرم

٢-الوجه المصحف المحرف

ويعجبني الفتى وأظن حيرى فأكشف منه عن رجل لئيم
فطاف الناس بالختن بن سهل طوافهم برمزم والخطيم

٢-الوجه الصحيح

ويعجبني الفتى وأظن خيراً فأكشف منه عن رجلٍ لئيمِ
فطاف الناس بالحسن بن سهلٍ طَوَافَهُمْ بزمزمَ والحطيمِ

٣-الوجه المصحف والمحرف

فذبحت بالحب ما تحقيه من أحد خنى جرت بك أطلاقاً مخاضير
تنفى أمورا فما تدرى أعاجبها خير لنفسك أما فيه تأخير

٣-الوجه الصحيح

قد بُحْتَ بالحبِّ ما تخفيه من أحدٍ حتى جرت بك أطلاقاً محاضيرُ
تبغي أموراً فما تدري أعاجلها خير لنفسك أم ما فيه تأخيرُ

ومن صعوبات تحقيق النصوص الشعرية أيضاً:

٧- أن يكون المحقق متمرسا وعلى دراية بعلمي العروض والقوافي

تزداد أهمية العروض لدى الباحث والناقد والمحقق، وكل متأدّب بآداب العربية.
فعلم العروض -بقدرته على وزن الشعر، ومعرفة صحيحه من مختلّه، وما يعتريه من عَوارضَ وتغيُّرات طارئة، وشرحِه أحوال القوافي وعيوبَها- يُعين جميعَ هؤلاء على تحقيق النصوص الشعرية، ونقدها، وتقويمها، وإصلاحِ فاسدِها، وما أكثر من يخطئون في ذلك.

ومع أن العروض لا يُغني عن كثرة سَماع الشعر وقراءته لنمو الذائقة الموسيقية، والإحساس بالأوزان، وتباين إيقاعاتها، إلاّ أنه يُعينُ على قراءة الشعر، وأدائه

بالصورة الصحيحة، ويُعين بالتالي على فهمه، ومعرفة ما قد يتسرّب إليه من فساد أو تحريف وتصحيف، وما قد يعتوره من أخطاء في النقل أو الطباعة. وتبرز قيمة العروض في قدرته على ضبط كلمات النصوص، خاصة إذا كانت قواعد اللغة تُجيزُ لها أكثر من صورة. فإذا علمنا أن نقصَ حرفٍ واحدٍ أو زيادته في الشعر قد يُخِلُّ بالوزن أو ربما يُغيّره، عرفنا كم لعلم العروض من أهمية وخطر. خذ مثلاً على ذلك قول حافظ إبراهيم :

تَعْتِبِي

(حطمتُ) اليَراعَ فلا تعجبي   وعفْتُ البيانَ فلا

إذ يجوزُ لغةً نطقُ الفعل (حطَّمتُ) بتشديد الطاء، ولكن وزن البحر المتقارب هنا يُحتّم علينا تركَ التشديد.

بينما يُحتّم الوزن في البيت التالي تشديدَها :

لمْ يكنْ لي غدٌ ، فأفرغْتُ كأسي   ثمَّ (حطّمْتُها) على شفتيّا

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ (بِمَيْتٍ)   إنّما (المَيْتُ) (مَــيِّتُ) الأحياءِ

تكررت كلمة (ميت) ثلاث مرات، حيث تقتضي القراءة الصحيحة للبيت تخفيفَ الياء في الأولى والثانية، وتشديدَها في الثالثة.

كما نجد مثلَ ذلك في قراءة بعض الضمائر مثل: (هم و لهم ..)، إذ يستدعي الوزن أن تكون (ميم الجمع) ساكنةً أحياناً، أو مشبعةَ الحركةِ بالضمّ أحياناً أخرى. وقد

يستدعي الوزن تسكين (الهاء) من الضميرين (هو و هي). كما قد يستدعي الوزن النطقَ (بياء المتكلم) ساكنةً أو مفتوحةً. وتُقرأ نون التوكيد، ونون (لكن) مخففة أحياناً، أو مشددةً أحياناً أخرى. إلى غير ذلك مما تُجيزه قواعد اللغة العربية، أو الضرورات الشعرية. يقول مندور: "إن علمَ العروض عظيمُ النفع للنقد."

ومحقّقوا التراث هم في أشد الحاجة إلى معرفة العروض، لأنهم كثيراً ما يُقابلون في تحقيقاتهم التصحيفَ، وسقوطَ الحروف والكلمات، وانتفاءَ الضبطِ والتشكيل .. فتعينهم معرفة الوزن الصحيح على كشفِ التصحيف، والساقط من الحروف أو الكلمات، كما تُعينهم على إعادة ضبط الكلمات وشَكْلِها.

انتهى